الفصل الرابع عشر

الزحف الأوروبي لاستعمار أفريقيا

وفي عام ١٨٧٩ وعلى الرغم من الازدياد المستمر في قوى دول أوروبا الغربية بالمقارنة مع غيرها منشعوب الأرض، فلم يقع تحت سيطرة أوروبا إلا جزءًا يسيرًا من أفريقيا. كانت الجزائر خاضعة لفرنسا وكذلك مصر وتونس دون غيرها من شعوب شمالي أفريقيا كانتا خاضعتين للنفوذ الأوروبي.

أما في أفريقيا الغربية، حيث كانت هناك معاملات تجارية بين الأوروبيين والشعوب الساحلية خلال أربعة قرون. فلم يكن يخضع للنفوذ الأوروبي في هذه المنطقة سوى السنغال (لفرنسا) وساحل الذهب (لبريطانيا) ولم يتوغل الفرنسيون سوى بضعة أميال في الداخل بعيدًا عن الساحل. أما المستعمرات البريطانية جامبيا وسيرليون ولاجوس فلم تكن سوى دويلات تحيط بها شعوب أفريقيا.

وفي المنطقة التي أصبحت فيما بعد غينيا البرتغالية، كان هناك نفوذ برتغالي ولم تتعد مستعمرة جابون الفرنسيين أن تكون محطة بحرية وتجمعات للرق في ليبرفيل. وباستثناء خمس أو ست مدن ساحلية، فإن من الصعب اعتبار أنجولا البرتغالية وموزمبيق مستعمرات بالمعنى المفهوم، بل هي مثل سيئ لصيانة التجارة وضمان وصولها للداخل.

وبقي شمالي موزمبيق دون أن تصل إليه قوى أوروبا الاستعمارية وكان النفوذ البريطاني قويًّا في زنزبار، في حين كان الفرنسيون قد استولوا على الكاميرون وتمكنوا من وضع أرجلهم في مدغشقر. أما المنطقة الشمالية الشرقية، فإنها المنطقة الوحيدة التي لم ترفع فيها راية أي دولة أوروبية، وذلك كنتيجة لحفر قناة السويس الذي دعا فرنسا إلى أن تختار مكانًا يقابل احتلال بريطانيا لعدن فاحتلت أوبوك على الساحل الصومالي. وعلى ذلك لم يكن هناك تدخل أوروبي عميق وشامل إلا في جنوبي أفريقيا حيث كان الموقف معقدًا بسبب العداء المستحكم بين مستعمرات بريطانيا على الساحل وبين الأفريقيين البيض المستوطنين في الداخل.

بعد ذلك بأربعين سنة وعند بدء القرن العشرين، كانت الحكومات الأوروبية تدعي السيادة على كل الوحدات السياسية البالغ عددها أربعين وحدة.

ويعتبر تقسيم أفريقيا في نهاية القرن التاسع عشر نتيجة حتمية وضرورية لفتح الأوروبيين لأفريقيا وتدخلهم خلال الثلاثة الأعوام الأولى للقرن التاسع عشر، بقليل من البعثات الاكتشافية التي أرسلتها حكوماتهم للتجسس وللتمهيد لاستعمار تلك المناطق. وقد غرر بالمكتشفين الذين كانوا يعتقدون أن تشجيع حكوماتهم كان لخدمة العلم ولم يتصوروا أنهم يخدمون الاستعمار ويحققون أغراضه. وكما دعا الكتاب الماركسيون إلى التقسيم بدافع اقتصادي. كذلك كان الدافع اقتصاديًّا للتقسيم الذي نادت به بعض الدول الأوروبية غير المستعمرة.

إن تقسيم أفريقيا كان نتيجة طبيعية للصراع بين قوتين لم يسبق أن أظهرت أي اهتمام بالقارة وهذا الصراع قلب ميزان القوى الذي كان موجودًا من قبل وأوجد حالة من الهستيريا الدولية. فاندفعت جميع القوى تبحث عن السيادة السياسية والمساومة العنيفة للاعتراف بهذه المنطقة أو تلك.

لم يكن أول هذه العناصر التي ظهرت على مسرح المطامع في أفريقيا قويًّا بالمعنى المعروف، بل كان ملكًا أوروبيًّا يعمل باعتباره شخصًا وإن كان يستغل مركزه كملك يجمع بين أصابعه خيوط الدبلوماسية ويوجهها لتحقيق أطماعه الشخصية. ذلك هو الملك ليوبولد الثاني ملك البلجيك الذي كانت له أطماع ومقدرة تتعدى حدود الدولة التي ولته ليكون ملكًا عليها. ظهر اهتمامه بالإمبراطورية فيما وراء البحار في السنوات من ١٨٥٠ إلى ١٨٦٠، حينما قام دوق برابانت بأسفار زار فيها مصر وبات يحلم بغزوات في مناطق نائية، فوصلت أحلامه إلى فرموزا وسارواك وفيجي. ثم اعتلى العرش عام ١٨٦٥ فقصر كل تفكيره ونشاطه على دراسة الاكتشافات الأفريقية وأصبح بعد عشر سنوات مستعدًا لعمل أي شيء. وسلط أنظاره على الرابطة الدولية الأفريقية التي تأسست عام ١٨٧٦ لتقيم سلسلة من المحطات التجارية والعلمية في وسط أفريقيا من زنزبار إلى المحيط الأطلنطي وتحتاج هذه المحطات إلى قوات تحميها. وفي الوقت نفسه، تتخذ تلك الحاميات من المحطات قواعد للانقضاض على تجارة الرقيق ولحماية الإرساليات التبشيرية.

وأولى رحلتي اكتشاف قامت بهما الرابطة دخول أفريقيا الشرقية من

زنزبار في عامي ١٨٧٨ و١٨٧٩ والتحقتا بمحطات الآباء البيض في طابورة على بحيرة تنجانيقا ومنذ هذه اللحظة بدأ اهتمام ليوبولد يتزايد نحو الساحل الغربي، والتحق ستانلي في خدمة ليوبولد سنة ١٨٧٩. وخلال السنوات الخمس التالية أقام نظامًا للنقل البري والنهري من الكونغو إلى مساقط ستانلي ويبلغ طول هذه المسافة أكثر من خمسة آلاف ميل.

وكان ليوبولد في ذلك الوقت يمهد للاعتراف الدولى بسلطاته على الكونغو. وبالرغم من أنه كان يهدف إلى أن تكون المستعمرة أشبه ما تكون باحتكار تجاري، فإنه أقنع معظم الدول الأوروبية بأنه من الأفضل أن تبقى الكونغو منطقة تجارية حرة خاضعة لنفوذه ونظامه الدولي، على أن تقع في أيدي منافسيهم.

وأقرت الدول بذكاء ومهارة سياسة ليوبولد التي أثارت الشكوك المتبادلة بين القوى الأوروبية حول نشاط كل منها في أفريقيا وكشفت القناع عن أطماعها، وأصبح ليوبولد رئيس الدولة الوحيدة الذي خلق فكرة الزحف نحو أفريقيا.

وكانت ألمانيا الدولة الثانية التي زحفت إلى أفريقيا. حيث كانت تعمل في الخفاء وبسرعة خلال عام ١٨٨٤- ١٨٨٥ فوضعت يدها على أربعة أجزاء متفرقة هي جنوب غربي أفريقيا وتوجولاندو الكاميرون وشرقي أفريقيا ودفعت تصرفات ألمانيا عجلة الزحف حتى أصبحت كل قارة أفريقيا مقسمة. ومن الملاحظ أن ألمانيا لم تدخل أفريقيا بقصد تكوين إمبراطورية في بادئ الأمر؛ وإنما كخطوة مضادة في مخطط لتبعد أطماع فرنسا ونشاطها في أوروبا وتحول أنظار فرنسا عنها. هذا إلى جانب أن تقوم

بدور الحكم بين أطماع فرنسا وإنجلترا في أفريقيا كلما شبَّ نزاع بينهما.

وكان مفتاح هذا الوضع في مصر. ففي عام ١٨٨١، انفصلت الرقابة الفرنسية البريطانية على ميزانية مصر. وعندما ثار الجيش الوطني في وجهها بقيادة عرابي باشا حيث ثار على الخديوي توفيق الذي أصبح لعبة في أيدي الغرب وتآمرت فرنسا مع بريطانيا لهدم عرابي باشا، ولكن في الليلة المتفق على تنفيذ خطتها فيهما قامت أزمة في فرنسا حالت دون اشتراك الحكومة الفرنسية في المؤامرة وترتب على ذلك قيام بريطانيا بغزو مصر وحدها عام ١٨٨٢ وبقي الإنجليز في مصر على الرغم من الوعود بالانسحاب كحكام فعليين وليسوا مجرد مستشارين حتى أعلنت بريطانيا الحماية على مصر سنة ١٩١٤ وقد شجع احتلال بريطانيا لمصر فرنسا على تحسين مركزها وتدعيم نفوذها في أفريقيا الغربية.

وراق لألمانيا هذا الوضع الذي أعطاها الفرصة لكي تلوي ذراع بريطانيا دون أن تؤيد فرنسا إذ أن حكم بريطانيا لمصر أصبح ممكنًا فقط بمعاونة دائنيها الممثلين في صندوق الدين وكان معظم الدائنين تسيطر عليهم ألمانيا لأنهم من الألمان.

وخلال الأعوام الحاسمة في تمزيق أفريقيا، عضدت ألمانيا حكم بريطانيا في مصر مقابل أن تترك بريطانيا يد ألمانيا وتغمض عينيها عن تصرفات الأخيرة في بقية القارة الأفريقية. وهذا بدوره حرض فرنسا على المزيد من النشاط في أفريقيا، وبالذات النشاط الموجه ضد بريطانيا أكثر منه ضد ألمانيا.

وبهذه الطريقة انطوى النزاع المؤلم على الإلزاس واللورين في عالم

النسيان في خضم المنافسات بين فرنسا وإنجلترا في أفريقيا.

كان الملك ليوبولد توّاقًا لإقامة إمبراطورية مترامية الأطراف في أفريقيا، كما أن الدول الأخرى لم تكن مستعدة للوقوف موقف المتفرج في حين ترى منافسيها يبتلعون أفريقيا.

ويتضح من هذا أن القارة أصبحت مطمعًا لشعوب أوروبا. وعلى ذلك، فإن تمزيق أفريقيا كان مشروعًا أساسيًّا لسياسة أوروبا الدولية، والخريطة الحديثة لأفريقيا الآن تشير إلى نشاط الأوروبيين في أفريقيا خلال العصور الأولى الذي ترتب عليه تمزيقها.

كان الملك ليوبولد هو الأول الذي سعى لتحقيق اعتراف دولي بإمبراطورية أفريقيا. وفي عام ١٨٨٤ بعد أن عارض التجار البريطانيون الذين يعملون في تجارة الكونغونية حكومتهم للاعتراف بمطالب البرتغال في الإقليم الجنوبي من الكونغو، طالبت البرتغال بمساندة فرنسا وألمانيا لها ووجدت فرنسا في ذلك الوقت الفرصة سانحة للوقوف ضد بريطانيا ولكنها من ناحية أخرى وافقت على اقتراح بسمارك وهو مناقشة موضوع الكونغو في مؤتمر دولي يعقد في برلين. وقبل انعقاد المؤتمر كانت فرنسا قد عقدت صفقة مع الملك ليوبولد بمقتضاها تضمن فرنسا تمزيق إمبراطورية الكونغو إذا كان تكوينها يفوق موارد الملك وانضم إلى المؤتمر ألمانيا والولايات المتحدة في جانب باعتبار الكونغو ولاية حرة وعندما أُقيم المؤتمر في ديسمبر سنة ١٨٨٤ لم يكن للقوى الأخرى إلا أن توافق.

أصدر مؤتمر برلين قرارات سليمة تتعلق بتجارة الرقيق والتجارة الحرة

والخاصة بإثبات الاحتلال الفعلي للإقليم قبل إعلان احتلال جديد. وأعلن بسمارك في المؤتمر الحماية الألمانية على تلك المناطق في أفريقيا الشرقية؛ حيث حصل مارك بيترز وأعوانه على معاهدات غامضة مع رؤساء حمقى تافهين في رحلة اكتشافية واحدة لم تستغرق أكثر من بضعة أسابيع. وبذلك أصبح واضحا أمام الجميع أن تقسيم أفريقيا سريعًا أصبح أمرًا لا يمكن الحيلولة دونه وعاد المندوبون إلى بلادهم أول عام ١٨٨٥ ليقرروا أي الأجزاء يطالبون بها لضمها إلى دولهم وتحقق نفعًا كبيرًا لهم.

إن المصالح المنطقية جعلت توسع إمبراطورية فرنسا في أفريقيا أمرًا لا يمكن تجنبه. فامتدت أملاكها في الجزء الغربي. وفي عام ١٨٨٣، وصلت فرنسا أعالي النيجر عقب الحرب التي شنتها على أحمدو عام ١٨٧٩. وكان طبيعيًّا أن يفكر الفرنسيون في التوسع على طول النهر العظيم الذي يعتبر وسيلة المواصلات إلى الداخل، وبعد ذلك يربطون انتصاراتهم بمناطق نفوذهم على الساحل.

ولكن كان تقدمهم بطيئًا، فلم يصلوا تمكبكتو قبل عام ١٨٩٣؛ والسبب في ذلك قيام زعيم وطني مسلم في منطقة مندي يدعى ساموري الذي صمم على استعادة مجد أسلافه واستقلال شعبه. ولم يتغلب الفرنسيون على ساموري إلا في عام ١٨٩٨ ومنذ ذلك الوقت استطاعوا التقدم غربًا.

أصبح مستقبل جابون الفرنسي غامضًا خلال عام ١٨٨٠. فعلى الرغم من نشاط الملك ليوبولد في الكونغو الذي شجع الفرنسيين لإبرام معاهدة في المنطقة التي اكتشفها دى برازا، فإن الفرنسيين لم يبدأوا رحلاتهم الاكتشافية شمالًا لتلتقي مع امتداد الحدود الأفريقية الغربية عند بحيرة تشاد

وشرقًا حتى أوغندا مهددين بذلك أعالي النيل.

وكانت استراتيجية هذا التوسع لا تخفي على بريطانيا كما كانت أفريقيا الجنوبية إحدى النقاط التي تزداد أهمية وقد اضطرت بريطانيا إلى الاعتراف باستقلال جمهوريات البوير ثم واجهت التوسع الألماني في الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة.(٥)

وكان على بريطانيا الرجوع عن موضوع التقسيم بحكمة وسياسة، فإن المبادئ العملية كانت في يد الأوروبيين في مستعمرة رأس الرجاء الصالح. ومن بين هؤلاء سيسل رودس الذي كان أكثر الشخصيات نشاطًا. كون ثروة واسعة من إدماج مناجم الماس في كمبرلي في جريكو ألاند الغربية. وأعلنت بريطانيا تحت ضغط سيسل رودس وجود منطقة نفوذ بريطاني بين بتشوانالاند وزمبيزى وذلك في سنة ١٨٨٨. وفي سنة ١٨٨٩ أصدرت بريطانيا أمرًا ملكيًّا بإسناد جنوبي أفريقيا إلى شركة جنوبي أفريقيا.

وفي شمال زبيدي، أجريت مزايدات على مدى واسع. فيقع أكثر المناطق قيمة من الناحية التجارية في غربي أفريقيا ويوجد كثيرون يعتقدون بأنه يجب التضحية بالمصالح الأخرى مقابل مزايا تمزيق هذا الجزء وتقسيمه بين بريطانيا وفرنسا. ومن المحتمل أن كانت هناك شروطًا بمقتضاها تركت فرنسا لبريطانيا منطقة نفوذ تمتد من سيراليون حتى الكاميرون. كما أن انسحاب بريطانيا من شرقي أفريقيا أدى إلى انسحاب ألمانيا من الساحل

---

(٥) تطلق بريطانيا على جنوبي إفريقية شبه الجزيرة باعتبار أن المياه تحيطها من جميع الجهات ما عدا الجهات الشمالية.

الغربي، وأول هذه الشروط انسحاب بريطانيا من مصر وهذا أمر لم يكن في مقدور أي فرد في الحكومة البريطانية أن يفكر فيه. على العكس من ذلك بنى لورد سالزبورى، رئيس الوزراء ووزير الخارجية البريطانية، سياسة حكومته في تقسيم أفريقيا على أساس احتفاظ بريطانيا بمصر؛ ومعنى ذلك إطلاق يد فرنسا للتوسع في الغرب بشرط عدم المساس بمناطق النفوذ البريطانية الأربع على طول الساحل والبحث عن نصيب بريطانيا الأساسي من التقسيم على الجانب الشرقي، وإن كان عديم القيمة تجاريًّا بل ويكلف احتلاله نفقات باهظة.

واحتل الألمان الأراضي المهمة مقابل زنزبار ولكن في سنة ١٨٨٦ تمكن لورد سالزبوري من تعيين حدود مناطق النفوذ البريطانية، حيث توجد الآن كينيا. كما احتفظ بأحقية بريطانيا على أوغندا وعلى طريق موصل إلى السودان ومصر. أما شرقي أفريقيا، كما في زمبيزى ونيجيريا الوسطى والشمالية قامت شركة بريطانية بتوكيل من الحكومة البريطانية بتحمل أعباء الإدارة يحميها قرار سالزبوري للمفاوضات على مستوى دولي.

وبقي طلب الضم المتعلق بما يعرف اليوم بروديسيا الشمالية ونياسالاند إلى أن تم في عام ١٨٨٩ وعام ١٨٩٠ ويكون بذلك إتمام خطة سالزبوري.

وفي عامي ١٨٩٠ و١٨٩١، تقدم لتعيين الحدود الإقليمية مع ألمانيا وفرنسا والبرتغال وإيطاليا.

وأهم ما جاء بهذه الاتفاقيات، الاتفاق مع ألمانيا بتبادل هيليجولاند بزنزبار، فأعطت بريطانيا هيليجولاند لألمانيا وأخذت منها زنزبار. كما

حددت نهائيًّا حدود المستعمرات البريطانية الألمانية بطريقة مرضية بالنسبة لسالزبوري. وانتهت الاتفاقية مع إيطاليا على تعيين الحدود بين المحميات البريطانية في أفريقيا الشرقية والصومال المستعمرة الإيطالية. أما الإتفاقية مع البرتغال، فعلى الرغم من أنها كانت بين جانب قوي وجانب ضعيف، فإنها انتهت إلى وضع الحدود بين وسط أفريقيا البريطاني وبين جيرانها من البرتغاليين. كما بقيت الحدود الداخلية في أفريقيا الغربية غير محدودة وفشلت في الوصول إلى اتفاق على السودان.

إن أهم المظاهر التي بدت خلال السنوات العشر الأولى عقب الزحف الأوروبي على أفريقيا صادفت كذلك أمورًا مهمة في أوروبا؛ فرجال الدول ورجال السلك السياسي يجتمعون في المكاتب وفي منازلهم الريفية يرسمون الخطوط العريضة على الخرائط التي لم تكن في ذاتها دقيقة وكانت الحدود تبين بواسطة خطوط الطول وخطوط العرض أن تمزيق أفريقيا كان مهزلة واستخفافًا. فإن عشرة من رجال الأعمال يمكن أن يكونوا ممثلين لشركة صاحبة تفويض. كما أن قنصلًا واحدًا يعاونه اثنان من المساعدين يمكن أن يكوِّنوا حكومة لإحدى المحميات.

وانتهت بذلك الفترة الأولى لموكب الزحف الأوروبي على أفريقيا في العشرين سنة الأولى، وبدأت الفترة الثانية واتخذ نشاط المقيمين في المنطقة شكلًا آخر. فإن مواقع الحدود الداخلية تعتمد دائمًا على أي الفريقين المتجاورين أكثر من الآخر على احتلال المنطقة والمحافظة على حدود المنطقة التي يحتلها.

وكثرت الاشتباكات بين الدول الأوروبية المختلفة، وكان أكثر هذه

الاشتباكات على الحدود الغربية لنيجيريا حيث كانت القوات العسكرية بعد هزيمة فرنسا لدولة داهومي عام ١٨٩٣ تهدد بالاصطدام.

وفي نهاية القرن التاسع عشر، كانت رحلات فرنسا الاكتشافية تندفع نحو بحيرة تشاد من ثلاث جهات من الكونغو الفرنسي والجزائر وأعالي نهر النيجر، حيث كانت فرنسا تحلم بإمبراطورية مترامية الأطراف تصل بين البحر المتوسط والمحيط الأطلنطي والمحيط الهندي. وعلى ذلك، فإن في احتلال فرنسا لأعالي النيل ضربة قاضية لبريطانيا في مصر.

ومن عام ١٨٩٦ حتى عام ١٨٩٨ ظلت قوة صغيرة من الجنود الفرنسيين تعاني في تقدمها من جابون إلى فاشودة على النيل الأبيض على بعد أربعمائة ميل تقريبًا جنوبي الخرطوم. وكانت بريطانيا قد أرغمت مصر في سنة ١٨٨٥ على التخلي عن السودان لقوات مُحَمَّد أحمد المهدي على أساس أن مصر لا تستطيع أن تتحمل نفقات إعادة الغزو. ولم يغب السودان لحظة واحدة عن أعين سالزبوري. وفي سنة ١٨٩٦ بعد الكارثة التي حلت بالإيطاليين على أيد قوات فرنسا في الحبشة وعلى تقدم الجيش المصري الحديث جنوبًا واستولى على دنقلة في السنة نفسها وبربر عام ١٨٩٧ والخرطوم نفسها بعد معركة أم درمان في سبتمبر سنة ١٨٩٨.

وبعد ذلك بأسبوع سمع كتشنر بوجود القوات الفرنسية في فاشودة، فأسرع إلى ملاقاتها وكادت هذه الموقعة أن توقع فرنسا وإنجلترا في حرب بينهما. وفي الوقت نفسه، عملت على غزو كتشنر للسودان مرة أخرى مما تسبب عنه موت أكثر من ألفي سوداني في المعركة.

بدأ الصراع عندما اكتشفت مناجم الذهب في منطقة وتوترزلاند في سنة ١٨٨٦، فقد بين هذا الاكتشاف القوى الكامنة في الترانسفال وقد ارتاح لهذا الصراع عملاق جنوبي أفريقيا بول كراجر رئيس جمهورية الترانسفال من عام ١٨٩٠ إلى عام ١٨٩٦، وسيسل رودس الذي وسع مناجمه من كمبرلي وتوترزلاند الذي كان رئيسًا لوزراء مستعمرة رأس الرجاء من عام ١٨٩٠ إلى عام ١٨٩٦ فكان كراجر يطمع في توحيد جنوبي أفريقيا تحت زعامة البوير. في حين كان رودس يسعى إلى اتحاد فيدرالي بين البوير وبريتون وباتتو ويحكم هذا الاتحاد الفيدرالي حكومة مستقلة، وإنما ترتبط مع بريطانيا والإمبراطورية البريطانية.

وعلى ذلك كان كروجر يمثل مطالب الأفريكانز في القرن السابع عشر وكان يمثل رودس الرأسمالي المستعمر في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

وفي هذا الصراع مكن رودس بريطانيا في بتشوانالاند ثم حصل لنفسه على أمر ملكي يخوله حكم هذه المنطقة. وفي سنة ١٨٩٠، أرسل طابورًا من رجال الشرطة ليحتلوا إقليم ماشونا الذي يقع شرقي منطقة ماتابلية وشمال شرقيها.

وفي سنة ١٨٩١ امتد نفوذ شركته حتى اشتملت على روديسيا الشمالية، وذلك في مقابل أن يدفع لبضع سنوات مبلغ عشرة آلاف جنيه لإدارة نياسالاند. وكان رودس يعتقد أن هذه الإجراءات سوف تربط الترانسفال مع مستعمرة رأس الرجاء وتقرب المناجم الجديدة في الأرض الجديدة مستعمرة روديسيا الجديدة، حتى اشتبك رجال روديسيا في حرب

غير رسمية مع البرتغاليين في موزمبيق ثم هزموا ماتابلية ماشوتا تحت ضغط الحاجة إلى مزيد من الأرض والعمل. ولم تضع الحرب أوزارها حتى عام ١٨٩٧ . وحتى ذلك الوقت، اتضح أن ذهب مونوماتاجاس مخيب للآمال وكانت نفقات استخراجه باهظة حتى امتدت السكك الحديدية بين رأس الرجاء وبيرا سنة ١٨٩٩ .

أصبحت جمهورية البوير برياسة كروجر مهددة بازدياد عدد الأجانب الذين وفدوا إلى الترانسفال والثروات التي حصل عليها الأجانب بسبب استغلال المناجم.

ولما كان رودس قلقًا، فقد أغار سنة ١٨٩٦ لإحلال هؤلاء الأجانب محل حكومة كروجر. ولكن هذه الإغارة فشلت وهدمت رودس سياسيًّا الذي أقنع المستوطنين الأفريقيين بأن جنوبي أفريقيا البريطاني بمعاونة بريطانيا كان يهدف إلى طرد حكومة الجمهورية والتخلص من آرائهم. انتقلت الرياسة البريطانية إلى تشمبرلين الذي عين سيرالفريد ميلز في جنوب أفريقيا. وكان كلاهما لا يعير الشعور المحلي أي التفات. وكان ميلز يؤمن أكثر من سيده بأن جنوبي أفريقيا يجب حكمه بالحديد والنار حتى تتحول العناصر الهولندية إلى بريطانيا، دفع ميلز البوتلاندين حتى حافة الهاوية ثم وقعت الحرب سنة ١٨٩٩ ولم تجد مساعدة الأوروبيين المنافسين لبريطانيا لكروجر فتيلًا ولم يقف إلى جوار جمهورية البوير إلا دولة أورانج الحرة ضد بريطانيا وإمبراطوريتها.

واستمر الكومناندوز من البوير يناضلون حتى بعد استيلاء بريطانيا

على الجمهوريتين (البربر والأورانج)، ولكن في سنة ١٩٠٢ ناشد البوير السلام حيث كفاهم ما أصابهم.

وبذلك قضت بريطانيا على كل مقاومة حتى أن أحمدو ساموري في السودان الغربي ومناطق أشانتي وداهومي وبنين، والعرب والأفريقيين في أفريقيا الشرقية والوسطى والدراويش في السودان والماتابليه في روديسيا وحتى المستوطنين الأفريقيين في أقصى الجنوب آمنوا بأن في قدوم الحكومات الأوروبية تحطيم تقاليدهم وهدم حياتهم وفرض نظام جديد لا يتفق معهم. وقد حاربوا من أجل كل هؤلاء لأقصى جهدهم ولكنهم خسروا المعركة في النهاية.

وفي سنة ١٩٠٤، سوت بريطانيا خلافاتها مع فرنسا. وفي عام ١٩١١ تنازلت فرنسا عن شريط من إقليم الكونغو لمستعمرة ألمانيا في الكاميرون وكانت الحبشة الدولة الوحيدة التي استطاعت مقاومة الزحف الأوروبي، فأرغمت إيطاليا على الانسحاب وبقيت في الجزء الساحلي من الصومال ثم عوضت إيطاليا بأن غزت ليبيا سنة ١٩١١ وانتزعتها من تركيا التي كانت تحتضر. كذلك احتفظت ليبيريا باستقلالها ضد كل دخيل فيما عدا المرابين وبذلك يمكن القول إن أفريقيا استقلت في القرن العشرين، وهي خاضعة لقوى أوروبا الاستعمارية.